مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

الشخصية ودورها في البناء السردي في ديوان ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328ه)

نعمان جرو علي نصار / جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية
حيدر صاحب كاظم / جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

الشخصية،الخطاب السردي ،ابن عبد ربه الأندلسي الشخصية الايجابية، الشخصية السلبية .

المستخلص باللغة العربية:

لاشك أن للشخصية أهمية كبيرة في العمل السردي فهي تحرك الأحداث والأدوار وتقودها وتسير بها إلى الأمام ، وعند متابعة الدور الذي تلعبه الشخصية في البناء السردي في ديوان ابن عبد ربه الأندلسي واختيار الطريقة التي رسم بها شخوصه في سرده للأحداث ودراستهما تبيّن أن الشخصية تمظهرت بطريقتين هما (الأخبار والكشف) ، ولاسيّما أن بعض الشخصيات قد ذُكرت اكثر من مرة في ديوانه ، ولربّما يعود السبب في ذلك إلى ما لاقاه من ويلات، خاصة الشخصية السلبية ، إذ فرضت وجودها في معظم قصائد المدح والهجاء، مما لجأ الشاعر إلى تشخيصها في نصوصه بمستوى يتلاءم مع ما جاء به من سرد للأحداث كاشفاً عن دورها وأبعادها وملامحها .

١. المقدمة

لاشك أن للشخصية أهمية كبيرة في العمل السردي فهي تحرك الأحداث وتقودها وتسير بها إلى الأمام ، يضاف إلى هذا إن حركات الشخصيات هي التي تحدد مسار الحدث وتتداخل معه فيطور ها ويغير من سلوكها ونشاطها وبذلك يكون من الخطأ الفصل أو التفرق بين الشخصية والحدث ؛لأن الحدث هو نتاج الشخصية فيقدمه بكل تفاصيلها أمام المتلقي بأسلوب الحكاية معلقاً ومحللاً للأحداث [1] إذ لا يمكن أن نصور أحداثاً تقع من دون أن يشارك في إحداثها شخص معين أو أشخاص معينين في مكان محدد وقع عليه الحدث بطريقة معينة[2] ، لذا فإن مفهوم الشخصيات عرف بتصنيفات كثيرة كالشخصية (الرئيسية والثانوية) إذ ارتبطتا بقضايا شكلية (البناء الشكلي للشخصية ودورها داخل الخطاب الروائي) وقضايا مضمونية (العلاقة بين دور الشخصيات والأحداث)[3] . وعند متابعة الدور الذي تلعبه الشخصية في البناء السردي في ديوان ابن عبد ربه الأندلسي واختيار الطريقة التي رسم بها شخوصه في سرده للأحداث ودراستهما تبيّن أن الشخصية تمظهرت في ديوانه تقنيتين أو طرقتين هما:

أولاً: الشخصيات سرداً اخبارياً

ثانياً : الشخصيات سرداً كشفيّاً

٢. الدراسات السابقة

استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر
البنية السردية في شعر الصعاليك
البنية السردية في شعر نزار قباني
مستويات السرد الوصفي القرآني دراسة اسلوبية

٣. التحليل والمناقشة

أولاً: الشخصيات سرداً اخبارياً:

وفيها يصف الشاعر إلى الجوانب الخارجية (الشكل العام) يوضح لنا السلوكيات الظاهرة من الشخصية ، وسماتها العامة رسماً إخبارياً من الداخل والخارج ومبديّاً رأيه فيها [4] وقد يلجأ إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها وتعليقها على أعمالها بُغية التأثير في المتلقي [5] نجد ذلك في قصيدة لإبن عبد ربه الأندلسي رثا فيها

ابنه بقصيدة سخّر فيها الشاعر مجموعة من الشخصيات لتجسد وقائع تاريخية معروفة إذ قال: [6]

: { من الكامل }

قَصَدَ المَنونُ لَهُ فَماتَ فَقيدا ... وَمَضى على صَرفِ الخُطوبِ حَميدا
بِأبي وَأُمّي هَالِكاً أَفْرَدْتُهُ ... قَدْ كانَ في كلّ العُلومِ فَريدا
سُودُ المقابرِ أَصْبَحَتْ بِيضاً بِهِ ... وَغَدَتْ لَهُ بِيضُ الضَّمائِرِ سُودا
لم نُرْزَهُ لما رُزِئنا وَحْدَهُ ... وَإِنِ اسْتَقَلَّ بِهِ المَنونُ وَحِيْدا
لكِنْ رُزِئنا القاسِمَ بْنَ مُحمدٍ ... في فَضْلِهِ والأسْوَدَ بْنَ يَزِيدا
وَابْنَ المُبارَكِ في الرقائِقِ مُخْبِراً ... وَابْنَ المُسَيَّبِ في الحديْثِ سَعيدا
وَالأخْفَشَيْنِ فَصاحَةً وَبَلاغَةً ... والأعشَيَيْنِ رِوايةً وَنَشيدا
كانَ الوَصِيَّ إذا أَرَدْتُ وَصِيَّةً ... وَالمُستَفادَ إذا طَلَبْتُ مُفيدا
وَلَى حَفيظاً في الأذَمَّةِ حَافِظاً ... وَمضى وَدوداً في الوَرَى مَوْدودا
ما كانَ مِثْلي في الرَّزِيَّةِ والِداً ... ظَفِرَتْ يَداهُ بِمِثْلِهِ مَوْلودا

الشخصيات التي ذكرت في هذا النص[7] هي شخصيات ثانوية استثمرت من لدن الشاعر للإخبار عمّا حلّ بولده وهو الشخصية الرئيسة ، فكثيراً ما يُعظم من دور الشخصيات الثانوية وأهميتها في النص الشعري ، إذا ما عبرت عن أفكار الشاعر ومشاعره وقيمه ومبادئه[8] وكما ورد في الأبيات المذكورة آنفاً عندما اتخذ منها معادلاً موضوعياً وبيان ما حصل مع ولده ، فمنزلة ولده من تلك الشخصيات كمنزلة هؤلاء من احبتهم ، وما حصل لهؤلاء من ويلات ومصائب كان كتلك التي حصلت مع الشاعر إلا أن هم الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي لم يكُن محلَّ إبراز محلامح تلك الشخصيات التي ذُكرت بقدر ما أراد تسخير تلك الشخصيات للإخبار عن شخصية ولده ((فالمعطيات التراثية تكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة ونوعاً من اللصوق بوجدانها ... والشاعر حيت يتوسل إلى الوصول إلى وجدان أمته بطريقة توظيفية لبعض مقومات تراثها يكون قد توسل بأقوى الوسائل تأثيراً عليه)) [9] فجاءت الدعوة الصريحة من لدن الشاعر بشكل واضح عبر الإيحاء الموضوعي ، حتى بلغت هذه الشخصيات مبلغ الشخصية التامة الممتلئة (المكتملة) ، وكما يقول صاحب كتاب معجم المصطلحات الأدبية ((لها عمق واضح وأبعاد مركبة وتطور مكتمل وقادرة على أن تدهش القارئ إدهاشاً مقنعا مرات عدة ... وتوصف في اكتمال بحيث تصبح قابلة التعرف عليها وفهما وتمييز ها كفرد يختلف عن الآخرين الذين يظهرون في نفس النص))[10]، وبذا تصبح اللغة في الشعر خلقاً فنياً مصورة حالة الشاعر الباطنية ، فهي ليست وسيلة للتخاطب فحسب ، وإنما هي لغة مشبعة بالتجربة قادرة بحكم صياغتها أن تتحمل رؤية الشاعر تجاه ممدوحه عن طريق عمل فني متماسك موحد [11] . كما ولعبد ربه الأندلسي مقطوعة شعرية يصف فيها خيبة أمله عندما سأل بعض موالي السلطان اطلاق محبوساً فتلكأ قائلاً : [12]

{ من الكامل }

حاشا لِمِثْلِكَ أنْ يَفُكَّ أسِيرا ... أوْ أنْ يَكُونَ مِنَ الزَّمانِ مُجيرا
لَيسَتْ قَوَافِي الشِّعرِ فِيكَ مَدارِعاً ... سُوداً وَصَكَّتْ أَوْجُهاً وَصُدورا
هَلَّا عَطَفْتَ بِرَحْمَةٍ لَمَّا دعَتْ ... وَيلاً عَلَيْكَ مَدائِحي وَثُبُورا
وَ أنَّ لؤمَكَ عَادَ جُوداً عُثْرَةً ... ما كانَ عِنْدَكَ حاتِمٌ مَذْكورا

ففي هذه الأبيات قدّم ابن عبد ربه الأندلسي للمتلقي شخصية الأمير الذي لجأ إليها وتنكيرها ، ربما ليعطي لنفسه الحق في لومها وإظهار تقصيرها في عدم اطلاق محبوساً من سجنه ،حتى تؤدي إلى ظهور سلسلة من التداعيات التي تتصل بالعلاقة بين الأمير والشاعر، وما يمكن أن تؤديه إليه من محاولات لتصيح مسار الشخصية الرئيسة (الأسيرة) ولهذا رسم الشاعر صورة سلبية داخل البناء السردي لشخصية الأمير ،فضلاً عن ذلك أن ابن عبد ربه الأندلسي جعل قصائده ((جديرة بحمل هوية فنية بوصفها فناً تعبيرياً مستقلاً قوامه السرد المباشر الذي يكون أداة تشويق وإثارة في عرض الحدث واقعياً)) [13] فعندما يسرد الأحداث لا يعرضها بكل تفاصيلها ، وإنما ركز على جانب مهم إلا وهو اطلاق صديقه من السجن ، فضلاً عن بيان التأثير النفسي وتوسيع قاعة التأثير السيكولوجي عبر الألفاظ ، فيكون تأثير الشخصية والحدث ممتداً على مساحة شعورية لا نصية[14] .

كما ولم يغفل ابن عبد ربه الأندلسي عن توظيف النصح والإرشاد في شخصياته كقوله [15] :

دَعْني أصُنْ حرَّ وجهي عن إذالتِهِ ... وإنْ تغرَّبتُ عن أهلي وعن ولدي
قالوا:نَأَيتَ عنِ الإخوانِ قلتُ: لهم ... ما لي أخٌ غير ما تُطوَى عليهِ يَدي

من اليسير على الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي التوجه بخطابه لشخصية مفترضة جاعلاً منها أداة مهمة في نص الشعري القائم على الوعظ والنصية ، ولا يخفى هذا الغرض مع ما جاء به الشاعر من أساليب فنية كأسلوبي (النفي والإستثناء) في البيت الأول والثاني ، فشرَعَ عن طريقها في بيان فضل المال وبخاصة في الغربة في تواشج دائم مع الحدث ، أي أن الحوار الذي يقدّمه الشاعر بذكر ما في يده من أموال يصب في لب الأحداث ، حتى يكون جواباً شافياً لسؤال تلك الشخصيات (نَأَيتَ عنِ الإخوانِ) معتمداً على الحقائق والثوابت التاريخية بأسلوب سردي[16] لفهم ما أراده الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي إيصاله ، بالرغم من أنه اختلق تلك الشخصيات لضرب مثالين واقعيين هما الغنى في الغربة بعيداً عن الأهل والأولاد ، والفقر في الوطن مع الاخوان ، الأمر الذي يجعل الشاعر يتحمس فيبوح بما في نفسه لهم ، وهو ما جعله القارئ يتعرف على نحو واضح بالدور الذي تلعبه الأموال في صيانة وجه الإنسان وكرامته وعدم إذلاله ، فضلاً عن إثراء المعنى واثرائه لغرض إصابة حكمة ونصيحة أرد ابن عبد ربه الأندلسي توجيهها لشخصيات معينة أو لكل من يقرأ هذه النتيجة .

ثانياً : الشخصيات سرداً كشفيّاً

وفيها يعمد الشاعر أو الراوي إلى أن ينحّي نفسه جانباً ، ليتيح للشخصيات الثانوية أن تكشف عن نفسها وعن جوهرها ، باحاديثها وتصرفاتها الخاصة تدريجياً للقارئ ، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها ، عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها ، وتعليقها على اعمالها [17] ، وقد يتخذ سرد هذه الأدوار في الشخصيات الثانوية أنماطاً متعددة قد تكون على هيأة حوار داخلي مع النفس ويكون مسموعاً كالمناجاة ، وربما يكون حبيساً داخل النفس لا يتيح لأحد أن يسمعه إلا متكلمة حتى يحقق الصلة بين الذات والذهن [18] وإن لجوء الشاعر إلى هذه الشخصيات الثانوية لكي يدعم فكرة معينة أو رأياً معيناً ،لذلك تُعَد هذه الشخصيات محركة للأحداث ؛ لأنها نمّت الدوافع الخاصة للشخصية الرئيسة ،وزادتها تحفزاً للسير بالأحداث إلى الأمام[19] .

من اليسير على الشاعر أن يورد شخصية عزيزة على قلبه ويضفي عليها ملامح الحزن والألم والحرق ويكون في تلاحم أفعالها بناء ، يقصد منه الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي التأثير في نفس المتلقي ، ولذلك فإن السرد المأساوي وسيلة تلجأ إليها النفس الإنسانية كي تناجي وتندب به مصابها ، عبر تقنية الحوار الداخلي كما في قوله [20] : { من المنسرح }

وا كبدَا قَدْ تقطّعَتْ كبدِي	وحرقَتْها لواعج الكَمِد
مَا مَات حَيٌّ لِمَيِّتٍ أَسَفاً	أَعْذَرُ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدِ
يا رحمةَ اللهِ جاوِرِي جَدثا	دفنت فيهِ حَشَاشَتي بَيدِي
ونوِّرِي ظُلمَةَ القُبُورِ علىَ	مَنْ لمْ يَصِلْ ظلمَهُ إلى أحد

حرص الشاعر في النص الشعري المذكور آنفاً على نقل حواره عبر المنولوج الداخلي من خلال (ياء النداء) فضلاً عن بيان أسلوب الأمر الوارد والدعوة الصريحة في ابتعاد نفسه عن جميع مغرياتها بقوله (غري (مما يعكس الأمر اطلاع الشاعر ، من هذا جاء الإخبار عن شخصية ولده في النص الشعري عبر الخطاب المنقول المباشر [21] وقد جاء السرد مفعماً بالصور البيانية (دفنت فيه حشاشتي) والمحسنات البديعية(تقطعت كبدي، وحرقتها لواعج الكبدي)، وقد تفاعلت هذه الأساليب مع الحدث السردي كي يوازن بين تكثيف الحكاية واتساع الهيكل الشعري لها .

ولم يقتصر أبن عبد ربه الأندلسي في الكشف عمّا في نفسه من شعور داخلي على شخصيته فحسب ، بل راح يكشف عن المشاعر والأحاسيس التي تشعر بها الشخصيات الأخرى وإجراء الحديث في النص الشعري على وصف أقلام تلك الشخصيات ، ولا سيّما أن الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي استحضر ثقافته الأدبيّة في صورة كشفية اتفق فيها إلى حد ما فى الدلالة والمغزى، وتقابل الخيال مع أبي تمام [22] انبجست في دلالاتها وفحواها وفق مرجعية أدبيّة مشتركة، وقد أبان ذلك في قوله عندما وصف للقلم [23]: (من المنسرح)

بكفِّهِ ساحرُ البيانِ إذا	أدارَهُ في صحيفةٍ سَحَرا
يَنطِقُ في عُجمةٍ بلفظتِهِ	تُصَمُّ عنها وتُسمِعُ البَصَرا
نوادرٌ يقرعُ القلوبَ بها	إنْ تَسْتبِنْها وجدْتَها صُورَا
نظامُ دُرِّ الكلامِ ضَمَّنهُ	سِلكاً لخطِّ الكتابِ مُستطرا
إذا امتطَى الخِنصرَيْن أذكرَ مِن	سَحبانَ فيما أطالَ واقْتَصرا
يخاطبُ الغائبَ البعيدَ بما	يخاطبُ الشاهدَ الذي حَضَرا
تَرى المقاديرَ تستدِفُّ لهُ	وتُنفِذُ الحادثاتُ ما أمَرا
شَخَتْ ضَئيلٌ لفعلهِ خَطَرٌ	أعظِمْ بهِ في مُلمَّةٍ خَطرا
تَمُجُّ فكَّاهُ ريقةً صَفِرتْ	وخَطْبُها في القلوبِ قد كبُرا
تُواقِعُ النفسُ منه ما حَذِرتْ	وربَّما جُنِّبتْ بهِ الحَذرا

فقد اتكأ الشاعر على دلالات ومعاني أبي تمام في ايراد وصفه لقلم الزيات، وما ينطوي تحت هذا الوصف من مضامين متعلقة بالدقة والدهشة، فجاء بشخصية الكاتب من خلال قلمه ، ليوظفها في التعبير عن تجربته بصورة مشتركة متداخلة قادرة على إعادة انتاج النص عبر تشرّبه معنى الشاعر الأول ، على الرغم من أننا نلحظ اختفاء الشخصية الرئيسة فعوض عنها بما تستعمله من أداة تعبر عن شخصيتها وصفاتها وأدوارها ، وكأنّ الشاعر أراد الابتعاد عن سرد صاحبه ليصف ما يقوم به موصوفه ، ولقد وفّق الشاعر في نقله لتلك الأوصاف بأسلوب فني وسردي ، بيد أن ليس من السهل أن يعارض شاعراً أندلسياً شاعراً مشرقيّاً كبيراً كأبي تمام ، وكما هو معرف أن المعارضة هو أن يأتي الشاعر بقصيدة من الفكرة نفسها والبحر ذاته ويحاكيها الشاعر ، وعلى هذا اقتربت طريقة الشاعر في السرد من طريقة أبي تمام ، مُستثمراً تقنية المعارضة لبيان قدرته الإبداعية والتعبير عن مشاعره الذاتية .

وفي موضوع آخر كشف الشاعر بعض الجوانب الداخلية للشخصية الرئيسة قائلاً[24] { من الوافر }

مَقيلَكَ تَحتَ أظلالِ العَوالي	وَبَيْتُكَ فَوْقَ صَهواتِ الجِيادِ
تَبَختَرُ في قَميصٍ مِنْ دِلاصٍ	وَتَرْفُلُ في رِداءٍ مِنْ نِجادِ
كَأَنَّكَ لِلْحُروبِ رَضيعُ ثَدْيٍ	غَذَتْكَ بِكُلِّ داهِيَةٍ نَآدِ[25]
فكم هذا التمني للمنايا	وكم هذا التجلد للجلاء
لئن عُرف الجهاد بكلّ عامٍ	فإنّكَ طولَ دهرِكَ في جهادِ
وإنّكَ حين أبتَ بكلّ سعدٍ	كمثل الرُّوح آب إلى الفؤادِ
رأينا السيفَ مُرتدِيّاً بالسيفِ	وعاينّا الجوادَ على الجوادِ

عرض الشاعر في النص الشعري موقفه من القائد وأقدامه على الحرب عبر تلك الشخصية الرئيسية المتمثلة بالممدوح فعن طريق الخطاب استطاع الشاعر أن يستعرض موقفه وحبه لهذا القائد ويسهب في شرح هذا الحب بقوله (كأنّك للحروب رضيع ثدي غذتكَ بكل داهية نآد) ففي هذه العبارة استغراق زمني كبير لإتقانه فنون الحرب حتى غذّته من ثدييها ، وهذا إن دلّ إنما يدلُ على ايمان الشاعر بهذا الفارس البطل وشجاعته ، لذا حرص على إيصال ذلك الإعجاب والحب إلى سامعيه والتأثير فيهم ، مستعملاً ضمير المخاطب (الكاف) بأسلوب حواري

مباشر ، فضلاً عن استعماله لضمير المتكلم في بيته الأخير ، فهذه الشخصية تمثل جزءاً مهماً في الكشف عن قيم البطولة ، ولا سيّما أن الشاعر كان أكثر تأكيداً بقوله (رأينا وعاينا) أي أن ما تم ذكره من مشاهد الحروب والوقائع كان مشاهداً بالعين من لدن الراوي ، فهو يروي ما شاهدته عيناه ، فكانت رواية الشاعر دراية ، من هنا جاء التوازن الصوتي بين (رأينا و عاينا) على وفق مهارات الشاعر اللغوية للتعبير عن شجاعة ممدوحه فضلاً عن شاعريته والربط بين الدلالتين الصوتية والمعنوية للفعلين مستثمراً في الوقت نفسه أيقاع القصيدة بموسيقى الجناس الخاص مع إيراد الوصف للشخصية مما أسهم هذا النص في تحقيق المساحة السردية وبيان الكشف عن مضامينها.

وما ورد نلخص القول بأن معظم شخصيات ابن عبد ربه الأندلسي التي أوردها في شعره تحيل إلى شخصيات ذات مرجعيات واقعية وتتصف بعضها بالقداسة وعظيم الشأن ؛ إذ أن هذه الشخصيات لا تترك للمتلقي مناصاً للذهاب بعيداً حتى وإن كانت هناك اختلافات في الفكرة والمعتقد .

ومن المُلاحظ على الشاعر أنّه عُني في تصوير شخصياته عبر تقنيتين الأخبار والإظهار (الكشف) بشكل يفصح عما يدور حوله جميع مفاصل الخطاب مستعيناً بتقنيات تقديم الشخصية وبنائها من (حدث ومكان وزمان ووصف) لما لها وقع أكبر في وجدان القارئ.

المطلب الثاني : أنواع الشخصيّات

أولاً: الشخصية الإيجابية:

هي تلك الشخصية التي يغلب عليها الطابع الإيجابي في ذات الشاعر، لاسيّما أن كان لتلك الشخصية مكانة اجتماعية أو دينية مقدسة في نفوس المجتمع ، وقد ورد عند الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي شخصيات ذات مراتب عالية مقدسة يضفي عليها من الصفات مالم يخطر ببال إنسان فقال فيه:[26]{ من بحر المنسرح }

للهِ عبدُ الرَّحيم من مَلكٍ ... ما بعدَهُ للعيونِ مُطَّرحُ
كأنَّ بابَ السماءِ من يدهِ ... على جميعِ الأنامِ مُنفتحُ

إنَّ فاعلية الفضاء في إعادة تشكيل ابعاد الشخصية الإيجابية قد تجلى وبشكل واضح من خلال التغيرات الجوهرية على الشعور الداخلي ، وفي هذين البيتين نجد الشخصية في تصور الشاعر على الغاية القصوى من العلو وهو لا شك يغالي فيها ؛ لأنّ هذه الصفات: (كأنّ بابا السماء من يده) لا تتحقق إلا لولي من الأولياء ولكنه يرسمها للحاكم ، ويجعلها شخصية إيجابية من الطراز الأول ، فالشاعر كان حريصاً على إبراز الصفات للممدوح ومشاركة المتلقي ويجعله يصدق كل ما يقوله ومن ثم تتحقق الغاية الأساسية للشاعر وتحقيق ما كان يصبو إليه ، وفي نص آخر لابن عبد ربه الأندلسي أسمهم الحدث المتصاعد المتمثل بوفاة عبيد الله بن يحيى[27] من رسم أبعاد تلك الشخصية وأفعالها قائلاً[28] { من الطويل }

لقد فُجِعَ الإسلامُ منهُ بناصرٍ ... كما فُجِعَ الأيتامُ منه بوالدِ
بكتْهُ اليتامى والأيامَى وأعوَلتْ ... عليهِ الأسارَى خائباتِ المواعدِ

فالشاعر في هذين البيتين في حالٍ من التوتر فبقوله :(فجع الإسلام) دلالة على ما لاقاه من خبر وفاة هذه الفقيه مصوراً ما ألمَّ به وباليتامى والأرامل من حزن ، فقد كان مؤثراً في المجتمع وناصر للدين مثلما عبّر عنه الشاعر ؛ ولذلك بفقده فجعت الناس بكل مستوياتها ، فالشخصية إيجابيه جداً فشخصية الفقيد الدينية جعلت الشاعر يضفي عليه هذه الصفات المحمودة لتقريب صورته عن الناس ويجعلها في مرتبة عالية ويجعل القارئ أيضاً يشارك الناس في الحزن والبكاء والعويل ، ولقد أجاد الشاعر في نقل الصورة إلى المتلقي ، ولم يكتف ابن عبد ربه الأندلسي بهذا فهو يمدح والي إشبيليه[29] ويجعله في مرتبة الأولياء والصالحين فزيارته ، كأنها حجة إلى بيت الله الحرام ومدحه جهاد في سبيله من نحو ما قال: [30] { من الوافر }

أمِن يَمن يكونُ الجودُ خِلواً ... وإبراهيمُ حاتمُها الجَوادُ
زِيارتُهُ لمن يأتيهِ حَجٌّ ... ومِدحتُهُ رِباطٌ أو جِهادُ
وما لي في التخلُّفِ عنهُ عُذرٌ ... ولي في الأرضِ راحلةٌ وزادُ

مثلما عودنا الشاعر في رسم شخصية الممدوح الإيجابية فهو يشوّق المتلقي إلى زياته كي ينال من المكرمات التي تحدث عنها الشاعر والتي لم تخطر على بال بشر، لا شك إن الشاعر في هذه الأبيات قد بالغ في وصفه لهذا الممدوح حتى أصبحت زيارته بمنزلة حجة لبيت الله الحرام لمن يأتيه ، وهذا مما أراده الشاعر لبيان علو مكانة ممدوحه وسموها عن طريق تلك الزيارة ، كما وتجسدت هذه الشخصية في قصيدة ابن عبد ربه الأندلسي كما في قوله :[31] { من السريع }

بدرٌ بَدا مِن تَحتِهِ أَبلقُ ... يحسدُ فيه المغربَ المشرقُ
لما بدا للأرض مُستبهِجاً ... كادَت له عيدانُها تُورقُ
لو يعلمُ الأبلقُ مَن فوقَهُ ... لاختالَ عن عُجبٍ به الأبلقُ
يا من رأى بحرَ ندىً زاخراً ... يحملُهُ طِرفٌ فلا يغرقُ
إمامُ عدلٍ باسطٌ كفَّهُ ... يرزقُ منها اللهُ ما يرزُقُ
عادَ به الدهرُ الَّذي قد مضَى ... وجُدِّدَ الملكُ به المُخْلَقُ

عبّر ابن عبد ربه الأندلسي عن شدة إعجابه بالملك واصفاً إياه بالبدر فإحساس الشاعر العميق بهيبة شخصية الملك وكيانه جعلته يؤسس روابط مشتركة بين السرد والطبيعة مُتخذاً في الوقت نفسه من الزمن مُحركاً فعلياً للسرد لما له من تحول وحركة ، فشرع الشاعر في مدح هذا الملك ووصفه عندما يخرج إلى الناس مُشيراً إلى ذلك النور والضياء ،

والبدرُ كما هو معروف يظهر للناس كافة ، ولم يكتفِ بهذا ، وإنما منحه بعداً مكانياً وجغرافياً بقوله(يحسد فيه المغرب الشرق) ، ولا يخفى استناد هذا النص الشعري على الوصف حتى بلغ بالشاعر المبالغة من جعل وقت الغروب يحسدُ الناس الذين يشرق عليهم وقت الشروق ، مشيراً إلى علو مكانته وسمو منزلته ((فالوصف يقوم بفاعلية سردية تتحقق داخل فضاء مكاني ممتد يدخل أُفق الزمانية))[32] مُكرراً لفظة (بدا) في البيت الأول والثاني ، دلالة من الشاعر على تحديد أفق السرد ضمن هذه الساعات مَّمجداً ومعظماً من شأن ممدوحه إلى أن بلغ به الأمر لوصف ذلك البدر بأنّه الخير والعطاء كله .

ثانياً: الشخصية السلبية :

هي تلك الشخصية التي ارتبطت بطابع سلبي في نفس الشاعر يغلب على سلوكها عنصر البخل والكذب ، إذ لم يصدر عنها سوى الفعل السلبي، لذلك حرص ابن عبد ربه الأندلسي على رسم ملامحها الشخصية ، لاسيّما أن الشاعر ابن عبد ربه الأندلسي قد كرر اسم بعض الشخصيات في ديوانه أكثر من مرة كما في شخصية أبو صالح[33]، وفي العنوان ذاته قائلاً: [34] { من الطويل }

أَبَا صَالِحٍ أَيْنَ الكِرَامُ بِأَسْرِهِمْ	أَفِدْنِي كَرِيماً فَالكَرِيمُ رِضَاءُ
أَحَقّاً يَقُولُ النَّاسُ فِي جُودِ حَاتِمٍ	وَابْنُ سِنَانٍ[35] كانَ فِيهِ سَخَاءُ
عَذِيرِيَ مِنْ خَلْفٍ تَخَلَّفَ مِنْهُمُ	غُبَاءٌ وَلُؤْمٌ فَاضِحٌ وَجَفَاءُ
حِجارة بخلٍ ما تجود وربَّما	تفجَّر من صمِّ الحجارة ماءُ
وَلو أَنَّ مُوسى جَاءَ يَضْرِبُ بِالعَصَا	لَمَا انْبَجَسَتْ مِنْ ضَرْبِهِ البُخَلاءُ
بَقَاءُ لِئَامِ النَّاسِ مَوْتٌ عَلَيْهِمُ	كما أَنَّ مَوْتَ الأكْرَمِينَ بَقَاءُ
عَزِيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ تَجُودَ أَكُفُّهُمْ	عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ العَزِيزِ عَفَاءُ

يخاطب الشاعر في النص شخصية أبا صالح مستثمرا الاستفهام الإنكاري في بيته الأول ويذكره بالأقدمين مثل حاتم الطائي وهرم بن سنان وغيرهم الذين تركوا أثراً طيباً في الجود والكرم والبذلِ ويبدو أن الشاعر قد ضاقَ ذرعاً من أبي صالح مثلما عبّر عنه بقوله(ولو أن موسى جاء يضرب) وهو اقتباس من الآية القرآنية((وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَ))[36] فإن النبي موسى (عليه السلام) لو ضرب البخلاء الذين قصدهم الشاعر لما انبجسوا من ضربه ، وعلى السياق نفسه في نص آخر يخاطب الشخصية نفسها قائلاً :[37] { من الطويل }

أبا صالحٍ جاءَتْ على الناس غَفلةٌ	على غفلةٍ باتَتْ بكلّ كريمِ
فليتَ الأُلى باتُوا يُفادونَ بالأُلى	أقامُوا فيُفدَى ظاعِنٌ بمُقيمِ
ويا ليْتَها الكُبرى فتُطوى سَماوُنَا	لها وتُمدُّ الأرضُ مدَّ أديمِ
فما الموتُ إلا عيشُ كلِّ مُبخَّلٍ	وما العَيشُ إلا موتُ كلِّ ذَميمِ

يخاطب الشاعر الشخصية نفسها وكأن الناس في غفلة والشاعر يحاول إيقاظهم من خلال هذه الأبيات السالفة الذكر وما احتشد فيها من الجمل والعبارة التي من شأنها تفعل بهم مالا يفعله الخطباء ، فقد حاول الشاعر اقناع المتلقي بسلبية هذه الشخصية ومن ثم فقد حقق الغاية الأساسية التي بنى عليها هذا النص الشعري ، فضلاً عن ذلك لجأ الشاعر إلى استخدام أسلوب التمني المشحون (بالزجر) ومؤكداً بالنداء الذي يزيد من وقعه في نفس المخاطب بقوله (وما العيش إلا موت كل ذميم) فعداء الشاعر لأبي صالح ما كان إلا نتيجة أفعاله التي تأباها النفس الإنسانية .

ويُطالعنا ابن عبد ربه الأندلسي في أبيات من قصيدة له وموقف آخر مع امرأة جعلته في حيرة من أمره عندما سألها حاجة وجعلت اليأس عنده يخالط الرجاء مثل قال: [38] { من مخلع البسيط }

مَا أَقْرَبَ اليَأسَ مِنْ رَجَائِي	وَأبعدَ الصَّبرَ مِنْ بُكَائِي
يَا مُذْكِيَ النَّارِ فِي فُؤَادِي	أَنْتَ دَوَائِي وأَنْتَ دَائِي
مِنْ لِي بِمُخْلِفَةٍ فِي وَعدِهَا	تَخْلِطُ لِي اليَأسَ بِالرَّجَاءِ
سَأَلتُهَا حَاجَةً فَلَمْ تَقْضِهَا	فَيهَا بِنَعْمٍ ولا بِلاءِ

اتخذ الشاعر من البناء السردي مسرحاً للكشف عن أحاسيسه الذاتية النابعة من أفكاره وعقيدته ففي الأبيات المذكورة آنفاً ذات حدث متكامل سرد لنا ما كان يجول في قلبه وعقله فقد اشعلت هذه المرأة النار في فؤاده، فلطالما اخلفت في وعدها إليه وجعلت لا يستقر على حال فهي لا تجيبه بنعم مريحه ولا لا مستريحة ، ولهذا فهو مضطرب بين الرفض والقبول ، ولذلك يخالط اليأس عنده الرجاء .

من الشخصيات السلبية التي وردت في ديوان ابن عبد ربه شخصية ابن عزرا[39] والذي قال فيه [40] : { من السريع }

قُلْ لابنِ عزرا أَلسَّخيفِ الحجا	زَرَى عليكَ الكوكبُ الثاقبُ
ما يَعْلمُ الشاهدُ من حُكمنا	كيفَ بأمرٍ حكمُهُ غائبُ
وقُلْ لعبّاسٍ وأشياعِهِ	كيفَ تَرى قَولكُمُ الكاذبُ
خاتكمُ كِيوانُ [41] في قَوسِهِ	وغرَّكم في لؤنِهِ الكاتبُ
فكلُّكُمْ يكذِبُ في عِلمِهِ	وعلمُكمُ في أصلِهِ كاذبُ

ففي هذه الأبيات قصّ لنا ابن عبد ربه الأندلسي موقفه من ابن عزرا فكان موقفه سلبياً ، إذ نراه يحط من منزلته ومكانته ، ولاسيّما أن الشاعر استعان بشخصية مفترضة جاعلاً منها واسطة بينه وبين المهجو، فهو مثلما قال فيه: (سخيف الحجا ، علم كاذب) ومن ثم لا يمكن لأحد من الناس تصديقه فيما بعد فقد أجاد الشاعر في رسمه لهذه الشخصية التي كان دورها على ما يبدو في الأحداث عالم في (الفلك والنجوم) ، ومن الواضح أن شعور الشاعر النفسي اتجاه ابن

عـزرا تمثّـل بغضـب شـديد لحظـة انشـاد هـذه الأبيات فكان تأثير ذلك كبيراً على نفسيته.

لقد توجـه ابـن عبـد ربـه الأندلسـي فـي جميـع مـا ذكـر مـن شـواهد لشخصـيات حقيقيـة إلا أنـه فـي مواضـع أُخـرى يُشـرع إلـى وصـف صـحيفة وكاتبها قائلاً (42) : { من السريع }

صَـحِيفَـة طـابَعُهـا اللّـومُ ... صَـحِيفَـة طـابَعُهـا اللّومُ
أَهـداهَـا والخُلفُ في طَيّهـا ... أَهـداهَـا والخُلفُ في طَيّهـا
من وجهِـهِ نَحْسٌ ومَن قُربِـهِ ... رِجْسٌ ومن عِرفـانِـهِ شُـومُ

يصـور ابـن عبـد ربـه الصـحيفة وصـاحبها فالصـحيفة عنوانهـا البخـل ، وأمـا صـاحبها فـالتقرب إليـه رجـس مـن عمـل الشـيطان وحتـى إحسـانه يعـود علـى الآخـر بالنكـد والشـقاء والشـر ، فمكتـوب علـى وجهـه الـنحس والأذى فقـد حـاول الشـاعر تصـوير هـذه الشخصـية علـى أنهـا شخصـية سـلبية فـي شـكلها وفـي مضـمونها وقـد وظـف هـذه الصـفات السـيئة فيهـا التـي تعضـد مـا ذهـب اليـه ومـن ثـم اسـتقرت فـي ذهـن المتلقـي علـى هذه الشاكلة التي أرادها الشاعر .

4. الأطر النظرية والتطبيقية

تمثلت الدراسـة بتطبيق المنهج السـردي على شـعر ابن عبد ربه الإندلسي وبيان مظاهر الشخصية في شعره .

٥. الخاتمة

الحمد لله قبل الإنشـاء ، والآخر بعد فناء الأشـياء ، والصـلاة والسـلام على رسـول الله محمد بن عبد الله وعلى آله ومن والاه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد..

1- حظِيَ ديوان ابن عبد ربه الأندلسـي بكثير من الوقائع والأحداث التاريخية التي قام بها ملوك وأُمراء الأندلس؛ مما جعل بنية قصـائده تنتمي إلى بنية السـرد القصـصـي وإدخال تلك السـيرة التي تمثـل بطولاتهم؛ وهـذا أقرب للحفظ و التوثيق .

2- تبنـى الشـاعر ابـن عبـد ربـه الأندلسـي طرقـاً متعـددة لعـرض شخصـياته وتقـديمها ، منـه مـا كـان سـرداً اخباريـاً فـي كثيـر مـن النصـوص الشـعرية ، ومنـه مـا جـاء بالطريقـة الثانيـة (سـرداً كشـفياً) وهـذا ممـا يثـري رغبـة القـارئ في كشف ما فيها من غموض .

3- ورد ذكـر بعـض الشخصـيات اكثـر مـن مـرة فـي ديوانـه مثـل شخصـية (أبـا صـالح) مقارنـة بالشخصـيات الأخـرى ، ولربّمـا يعـود السـبب فـي ذلـك إلـى مـا لاقـاه مـن الكـذب والخيانـة ومفارقـة الاخـوان ممـا أثـار قريحـة الشـاعر فـي استرسـال الأحـداث التـي جـرت على الشاعر .

4- جـاءت الشخصـية فـي ديـوان ابـن عبـد ربـه الأندلسـي متفاعلـة مـع عناصـر السـرد ، لا سـيّما الشخصـية الإيجابيـة والسـلبية ، إذ فرضـت وجودهـا فـي معظـم قصـائد المـدح والهجـاء، ممـا لجـأ الشـاعر إلـى تشـخيص الشخصـية فـي نصوصـه وتقـديرها بمسـتوى يـتلاءم مـع مـا جـاء بـه مـن سـرد للأحـداث كاشـفاً فـي الوقـت نفسـه عـن دورهـا وأبعادهـا وملامحها .

٦. المراجع

الهوامش:

1- ينظر : البنية السردية في شعر الصعاليك : 180.
2- ينظر : مدخل إلى تحليل النص الأدبي : عبد القادر أبو شريفة ، وحسين لافي قزق : 132
3- ينظر : العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية ارض السـواد لعبد الرحمن منيف : د. فيصـل غازي النعيمي : 165.
4- ينظر : البنية السردية في شعر نزار قباني : انتصار جواد عيدان :70
5- فن القصة : محمد يوسف نجم : 98.
6- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : 58.
7- القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (37 – 107) والأسـود بن يزيد(... – 75) تابعي فقيه من الحفاظ ، وكان عالم الكوفة في عصـره ، وعبد الله بن مبارك (118 – 181)، وسـعيد بن المسـيب (13 – 94) ، أما الأخفش لقب لأكثر من عالم ، أشـهر من لقب بالأعشـى أعشـى قيس ، ميمون بن قيس (ت 7ه) وله ديوان شعر . ينظر : ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : 58 .
8- ينظر : القصـة تطوراً وتمرداً : يوسـف الشـاروني : 109 .
9- اسـتدعاء الشـخصـيات التراثية في الشـعر العربي المعاصر : 16
10- ينظر: معجم المصـطلحات الأدبية :إبراهيم فتحي :112- 113

11- ينظر : التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة نقدية : 106.
12- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : 80.
13- مستويات السرد الوصفي القرآني دراسة اسلوبية : د. طلال خليفة سلمان :465 .
14- البنية السردية في شعر نزار قباني: 56 – 57 .
15- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي :51.
16- قال الإمام علي (عليه السلام) : (الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة): التذكرة الحمدونية : أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت ٥٦٢هـ) ج116/8.
17- ينظر: فن القصة : 98 .
18- ينظر: البنية السردية في ادب كاظم الحجاج :127
19- ينظر : مدخل إلى فن كتابة الدراما : عادل النادي : 52 .
20- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : 61.
21- ينظر : تحليل الخطاب الروائي (الزمن – السرد – التبئير): 179 .
22- ديوان أبي تمام : 121- 127 .

23- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : 87 . في اتكائه على قول أبي تمام: 121 – 127 .
24- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : 56 -57
25- النآد : الداهية.
26- ديوان ابن عبد ربه : 46
27- من فقهاء الأندلس ، ومن أهل قرطبة (ت297 ه) ينظر : جذوة المقتبس : 268 .
28- ديوان ابن عبد ربه : 50 .
29- مدينة من مدن الأندلس قريبة من البحر ، كانت كورة كبيرة على أيام الدولة الأموية ثم اتخذها بنو عباد عاصمة لهم ثم أصبحت ولاية على عهد المرابطين فكانت لها مكانة خاصة على عهد الموحدين حتى سقطت سنة (646ه) ينظر : الروض المعطاء: 59 ، معجم البلدان : ج1/ 195
30- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : 55 .
31- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : 122 .
32- اليات السرد في الشعر العربي المعاصر. 144.
33- لم أعثر على ترجمة له ، فقد ذكره الشاعر في أكثر من مرة ولم يفصح عنه .
34- يقصد هرم بن سنان .
35- ديوان ابن عبد ربه : 15 .
36- سورة الأعراف : اية 160 .
37- ديوان ابن عبد ربه : 152 .
38- ديوان ابن عبد ربه : 17 .
39- لم أعثر على ترجمة له ، ولكنه على ما يبدو رجل يهودي .
40- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي : 31
41- كيوان كوكب زحل .
42- ديوان ابن عبد ربه : 159 .

المراجع:

1- مستويات السرد الوصفي القرآني دراسة اسلوبية : الدكتور طلال خليفة سلمان ، ط1، مؤسسة الرافد للمطبوعات ، بغداد ، 2012م.
2- البنية السردية في شعر الصعاليك : أ. د ضياء غني لفته ، ط1، دار الحامد للنشر والتوزيع ، عمان ، 2010م.
3- مدخل إلى تحليل النص الأدبي :عبد القادر أبو شريفة ، حسن لافي قزق ، ط4 ، دار الكتب ، عمان ، الأردن ، 2008م.
4- العلامة والرواية دراسة سيميائية في ثلاثية ارض السواد لعبد الرحمن منيف :الدكتور فيصل غازي النعيمي ، ط1، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع 2010م.
5- البنية السردية في شعر نزار قباني : إنتصار جويد عيدان ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، 2002م.
6- فن القصة :محمد يوسف نجم ، دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ،1955م.
7- ديوان ابن عبد ربه الأندلسي: جمعه وحققه د. محمد رضوان الدّاية ، ط1، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1979م.
8- القصة تطوراً وتمرداً : يوسف الشاروني، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، ط2 ،2001م .
9- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : د. علي عشري زايد، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1997م.
10- معجم المصطلحات الأدبية :إبراهيم فتحي ، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، صفاقس ، تونس ،1986م.

11- التشخيص في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة نقدية: أ. د. ثائر سمير حسن الشمري ،ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع ،عمان ، 2012م .
12- التذكرة الحمدونية : أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (ت ٥٦٢هـ) ،الناشر: دار صادر، بيروت ،ط1، ١٤١٧ هـ.
13- البنية السردية في أدب كاظم الحجاج : أثير حميد محمد المجرن ، رسالة ماجستير، كلية التربية ، جامعة البصرة ، 2002م.
14- مدخل إلى فن كتابة الدراما : الأستاذ عادل النادي ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم عبد الله ، تونس ، ط1، 1987م.
15- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس : للحميدي أبو عبد الله محمد بن فتوح ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية ، 1953م.
16- الروض المعطاء في خير الأقطار للحميري :تحقيق دار احسان عباس بيروت(د.ت)
17- معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي (ت 626ه) ، ط2، دار صادر ، بيروت ، 1995م.
18- شعرية الخطاب السردي (دراسة) : محمد عزام من منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005م .
19- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : تحقيق محمد عبده عزام ، ط4 ، دار المعارف ، 2009م.
20- أليات السرد في الشعر العربي المعاصر :الدكتور عبد الناصر هلال ، ط1 ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، 2006م.

المستخلص باللغة الإنكليزية

The character and his role in the narrative structure in the Andalusian Diwan of Ibn Abd Rabbo

There is no doubt that the character is of great importance in the narrative work, as it moves the events and roles, leads them and moves them forward, and when following the role played by the character in the narrative structure in the Diwan of Ibn Abd Rabbo Al-Andalusi and choosing the way he drew his characters in his narrative of events and studying them, it was found that the character appeared in two ways, namely (news The reason for this may be due to the negative character, especially the negative character, as it imposed its presence in most of the poems of praise and satire, which made the poet resort to characterizing it in his texts at a level consistent with the .narrative of events, revealing its role, dimensions and features